**جلسة 2.2 محور العدالة – العدالة الاجتماعية والبيئية**

**البيئة والتنمية المستدامة : أي دور لحوار الأديان والحضارات**

**أ.د عبد الرحمن طنكول**

رئيس جامعة ابن طفيل

القنيطرة – المغرب

تقول العرب إن "**الإنسان ابن بيئته**" وهناك مثل شعبي يؤكد حسب نفس الاتجاه "***منين داك العريش قال له من ديك الشجرة***" . ولعل أحسن القول وأسماه حكمة في ذات السياق ما ورد في كتاب الله تعالى " **الله الذي سخر لكم البحر لتجري الفلك فيه بأمره ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون وسخر لكم ما في السموات وما في الأرض جميعا منه إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون**" . إن هذه المبادئ والحكم التي يزخر بها ديننا و ثقافتنا لخير دليل على أهمية العناية التي ينبغي أن يحظى بها المحيط الذي نعيش فيه مع الحفاظ عليه إزاء كل ما من شأنه أن يمس تماسكه وخصوصيته، بل والعمل على الارتقاء به وتعزيزا لأن في ذلك تعزيز لظروف عيش كريم لفائدة الإنسان في انسجام وتناغم مع الكون.

إن هذا الموقف أخذ اليوم يفرض نفسه أكثر من أي وقت مضى على البشرية في القارات ألخمس بالنظر للتدهور الذي أصبحت تعاني منه الكرة الأرضية على إثر التطور الصناعي السريع الذي انخرطت فيه الدول العظمى جريا وراء الربح الكبير متناسية أو متجاهلة أدنى شروط الاحتياط والسلامة إزاء الطبيعة و واحترام استعمال ثرواتها وتوظيفها على الوجه الأفضل.

لن يجادل أحد في أن التطور الصناعي أمر لا مناص منه لما يتيحه من إمكانات للرفع من دينامية النمو الاقتصادي ومحاربة عوامل الإقصاء والهشاشة، ومواجهة مختلف الاختلالات التي تؤدي إلى القطيعة بين الروابط الاجتماعية وزعزعة استقرار الدول وأمنها. لكن أن يصبح هذا التطور هدفا في حد ذاته، فلن يفضي في نهاية المطاف إلا لنتائج سلبية وعكسية. وهذا مع الأسف ما بدأنا نلمسه ونشاهده بحيث عوض أن يؤدي التطور الصناعي والتكنولوجي إلى تعزيز آليات التنمية المستدامة التي تضمن التوازن بين متطلبات الإنسان والموارد الطبيعية المتوفرة وفق استراتيجية عقلانية تراعي حاجيات المجتمعات الراهنة وانتظارات وآمال أجيالها

ألمستقبلية أخذ يسير في تجاه متعارض مع مصالح الشعوب بالإضافة لما أدى أليه من انعكاسات سلبية على المناخ واستنزاف ممنهج للبيئة وخيراتها.

وبما أن الخطر المحدق بعالمنا ما فتئ يزداد حجما وحدة وتنوعا، بالرغم من مختلف الملتقيات الدولية التي نظمت في ريو دجنيرو والدوحة مثلا لإثارة الانتباه إلى العواقب الوخيمة التي ستترتب عنه، لابد من الإقرار بضرورة اعتماد مقاربة جديدة إزاء هذا الخطر الذي يتربص بحاضرنا ومستقبلنا. فالكل يعلم أن بعض الدول العظمى ترفض التوقيع على إتفاقيات تهم حماية الكرة الأرضية من أشكال التلوث الصناعي وأخرى وقعتها ولا

تحترمها. مما يدل على أن الرهان على الدول وقرارتها لم يعد كافيا لتحقيق النمو الذي تنشده الإنسانية بالصورة التي تضمن لها تدبير ا نافعا اليوم وغدا.

وعلى هذا الأساس أعتقد، من غير ان أخشى أي اعتراض أنه أصبح لزاما طرح مشكلة التوازن البيئي من وجهة نظر حوار الأديان والحضارات، وذلك اعتبارا لما أخذت تضطلع به الأديان السماوية اليوم من دور فعال على صعيد مجتمعاتها، وما أبانت عنه من عزم قوي عبر مؤسساتها في التعامل مع قضايا العصر بمنظور يراعي المصالح الكبرى للشعوب بعيدا عن كل نزعة دوغمائية كيفما كان مصدرها وتوجهها.

لا يخفى على أحد ما تعرض له الدين، سواء في الدول النامية أو المتخلفة، من هجومات وإنجازات عنيفة خلال القرن الماضي، إذ أن تيارات مختلفة، إيديولوجية وفلسفية وسياسية، لم تدخر جهدا في المطالبة بالتحرر منه لكونه يشكل في نظرها خنوعا وتحقيرا للذات كما يقول ***نيتشه***. وكان من نتيجة ذلك انهيار القيم الروحية وتفكك الأسر وطغيان الماديات وتواري أخلاق التضامن والتعاضد وتنامي هيمنة الدول العظمى واحتكارها لخيرات الطبيعة. صحيح أن هناك اليوم وعي واسع بالخطر الذي تواجهه الإنسانية، كما نلمس ذلك من خلال الأصوات التي علت من هنا وهناك مطالبة بتقنين التطور، بوضع آليات لمراقبة تأثير الصناعة على البيئة، باعتماد طرق إنتاج ابتكاريه تعطي الأولية للطاقات المتجددة. لكن وباعتراف كثير من الخبراء لم تظهر إلى حد الساعة أية نتائج تذكر. لذا لابد من التساؤل في ظل عولمة جارفة : ما العمل ؟ ألم يحن الأوان للعودة إلى الديانات السماوية والنهوض بها وإعطائها حقها في إعادة ترسيخ نمط للحياة ملائم للبشرية والبيئة التي تسكن فيها ؟ ألم يكن سعي الأديان عبر التاريخ هو تحقيق رفاهية الإنسان بتقوية ارتباطه بالطبيعة ؟ أليست الإنسانية اليوم في أمس الحاج لمثل هذا الارتباط ؟ وبما أن سعي الأديان السماوية سعي واحد لماذا لا تساهم النخبة العالمة في ربط الجسور بينها وفق مبادئ التعاون والتآخي والتآزر؟

سنحاول في مداخلاتنا تقديم بعض عناصر الجواب عن هذه الأسئلة التي نعتبرها أساسية بالنسبة لفهم التحولات الشائكة التي يعرفها العالم اليوم و ما يمكن لحوار الأديان والحضارات أن يساهم به في فك كثير من ألغازه وتجاوز معضلاته الكبرى.